تمهيد

لقد نشأ النزاع بين العرب واليهود؛ بسبب الصدام التاريخي بين الحركتين القوميتين اللتين تأصلت جذور الكره بين اتباعهما، منذ أن ارتبط أغنياء يهود أوروبا بالمشاريع الإمبريالية الرأسمالية، الحركة الصهيونية بما توَفَّرَ لها من روافد الدعم من الحضارة الغربية، حيث الفكر العلماني الذي أدى إلى إنشاء الدولة القومية في أوروبا، والتفسير البروتستانتي الحرفي للعهد القديم، الذي وجدته الصهيونية كرافد آخر يضمن تحالف قطاع كبير من المسيحية مع فكرة الوطن القومي لليهود، حتى قبل وجود الحركة الصهيونية نفسها رسميًا على المسرح الأوروبي، فاتفق جميع هؤلاء على ترحيل اليهود إلى فلسطين، وصار الهدف إخراج اليهود المكروهين من أوروبا وجعل فلسطين وطنًا قوميًا لهم.

من ناحية أخرى، كانت هناك حركة القومية العربية التي تضرب في عمق منطقة تلونت بالتراث العربي الإسلامي، على مدى أكثر من ألف وخمسمائة عام، خضعت فيها فلسطين وغيرها للحكم الإسلامي، كما أن سكانها من العرب الكنعانيين وغيرهم كانوا دائمًا موجودين فيها قبل قدوم العبرانيون من بلاد الرافدين وقبل وصول قوم موسى من مصر.

الصهيونية، من طرف، كانت تسعى لإقامة دولة لليهود، لكي يستطيعوا لأول مرة أن يقرروا مصيرهم منذ ما يزيد على ألفي عام، فاستغلت مصالح الغرب الاستعماري الذي كان يسعى إلى مد نفوذه، واندفعت غير عابئة بما قد يحدث لسكان فلسطين من العرب بعد أن انهارت دولتهم الإسلامية؛ بانتهاء دولة بني العباس على يد الأتراك العثمانيين، ثم ضعف الخلافة العثمانية، ثم زوالها على يد الغرب الاستعماري الذي وجد من الصهيونية حليفًا طبيعيًا بسبب التقاء المصالح وضمان التبعية الصهيونية. لهذا؛ تشجع الصهاينة وكوَّنوا دولتهم وفقًا للنموذج الأوروبي، وبه ضمنوا المساندة الغربية الدائمة على حساب العرب.

لا شك بأن إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين وطرد أهلها عام ١٩٤٨م، يُعتبر صدمة قوية زلزلت الوجود العربي، وأصابت الثقافة العربية القومية بصدمة عنيفة، لم تفق منها حتى كتابة هذه السطور، وسيبقى بلا مبالغة زلزال إنشاء إسرائيل يُهاتف كل الأجيال العربية والإسلامية مهما تباعدت مواقف الأنظمة والزعماء، ومهما دأبت محاولة تجاهل ما حدث في فلسطين من قِبَلْ البعض، سواء عن عمد أو بتفضيل المصالح الشخصية والإقليمية على المصالح القومية والدينية.

إن اغتصاب فلسطين صراع يكون العرب فيه أو لا يكونون، إنه قضية أمة مهما ساءت العلاقات بين الأنظمة العربية، وستظل فلسطين قضية العرب المركزية الأولى، بل وستبقى قضية المسلمين بطريقة أو بأخرى حتى قيام الساعة، فإن سقطت بعد الأماني أو الأحلام في زمن من الأزمان، ستظل القدس عاصمة فلسطين، وعاصمة المسلمين، وعاصمة السماء.

إن الصراع العربي الصهيوني سيظل وسيبقى صراعًا حتى وإن قال عنه البعض بإنه قد تراجع إلى أن أضحى صراع فلسطيني إسرائيلي، أو راح يسقط إلى درك أسفل لكي يُصبح صراعًا فلسطينيًا فلسطينيًا بسبب سوء إدارة الأنظمة العربية لهذا الصراع، هذا أو بسبب خلافات هذه الأنظمة بالإضافة إلى تفضيلها الحصول على الأمان لحفظ كرسي الحكم بالانصياع إلى سماع نصائح الدول الأجنبية، التي تعتمد عليها هذه الأنظمة لاستمرار وجودها، فمهما وصلت التسميات أو تسرب بعض اليأس لأسباب كثيرة لحظية أو لمدة طويلة، فإن الصراع العربي الصهيوني باق جمرًا متوهجًا وإن غطته طبقة ناعمة من الرماد الخفيف، وسيظل بركانًا غاضبًا على استعداد أن يثور ويقذف الحمم في أي زمن قادم، وقد رأينا أن النار لم تخمد منذ أن صار لليهود دولة في فلسطين.

مهما كان الالتباس ومهما بُنيت الأساطير حول نوعية وأسباب هذا الصراع وتشعباته، ومهما حاولت أن تطمسه الأحداث بطريقة أو بأخرى، فإن من المهم أن يُعاد طرحه بطريقة مبسطة لا تعتمد على التخمين والارتجال، وإنما نذهب إلى

الأسباب لكي نفهم الموضوع من أوله ونستعذبه ونعيده إلى أصوله لكي يكون لنا فيه رأي مستنير، صحيح أن تضحيات عربية جمة قد قُدِمَّت من أجل فلسطين، وإن دماء كثيرة أريقت في سبيلها، لكن مبررات كثيرة أثرت وجعلت الصراع غامضًا بعض الشيء، من هذه المبررات ما هو فلسطيني بحت، وما هو عربي وديني، وأشدها ما هو دولي متحالف مع الصهيونية أو متعاطف مع إسرائيل.

إن مما لا شك فيه أن أساس قضية الصراع العربي الإسرائيلي، هو وجود المشكلة اليهودية التي فرضت نفسها في أوروبا في القرن السابع عشر والثامن عشر، وما حدث في النصف الأول من القرن العشرين، المشكلة اليهودية في أوروبا كانت لأسباب دينية وعرقية وطائفية واقتصادية، وإن كان تدَّخل الاقتصاد والتطلع إلى النفوذ فيها بغرض الاستثمار هو ديدن الانتهازية الرأسمالية، التي تبحث دائمًا عن الربح، والتي أجاد اقتصاديًا فيها بكفاءة متميزة أغنياء يهود أوروبا، ولما تفاقمت المشكلة كما ستتضح أكثر في أعماق الصفحات التالية بطرق مختلفة فإنها أصبحت تقتضي حلاً.

المشكلة اليهودية في أساسها نبعت بسبب الهجرة اليهودية من الشرق من روسيا وغيرها إلى أوروبا الغربية، وبسبب بروز التناقضات بين الجاليات اليهودية وبين الناس في المجتمعات الأوروبية التي أصبح يعيش فيها المهاجرون اليهود، مما أدى إلى تعرض الجاليات اليهودية في دول مثل بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا وألمانيا وغيرها إلى عملية اضطهاد منظم، وهكذا وقع اليهود في الشرق وفي الغرب بين نارين، نار المذابح التي كانت تتم لهم في روسيا وفي بولندا وغيرهما، ونار الاضطهاد العنصري في دول أوروبا الغربية، من هنا نشأت المشكلة اليهودية، وارتبطت في القرن التاسع عشر بمشكلة أخرى اسمها المسألة الشرقية، حيث أن المسألة الشرقية كانت تُطلق على دولة الخلافة العثمانية التي كانت في ذلك الحين تسمى "رجل أوروبا المريض"، المسألة الشرقية بالنسبة للغرب الاستعماري كان المقصود منها كيف يمكن تقسيم تركة دولة الخلافة العثمانية، لأن رجل أوروبا المريض (تركيا) حتمًا سيموت، لهذا تصدرت المشكلة اليهودية مع المسألة الشرقية اهتمام الدول العظمى في ذلك الزمان.

وأما المشكلة اليهودية بالتحديد، فقد كانت بسبب نفوذ دهاقنة الصهاينة، وأغنياء اليهود الأوروبيين وأحبارهم وحاخاماتهم وما روج لها، فقد راحت تدغدغ أذهان هؤلاء اليهود الأساطير القديمة والروايات الدينية وعبارات وردت في بعض الكتب المقدسة، تلك التي راحت تطرح تساؤلات وأفكار بأن هؤلاء اليهود التعساء لهم مكان، ولابد أن يحصلوا على الأمان فيه، في البداية لم يهتم أحد لمثل هذه الأحلام والتمنيات من زعماء الحكومات الأوروبية إلى أن جاءت الثورة الفرنسية بشعاراتها الإنسانية وبما قالت عن حقوق الإنسان، وحين ذلك تنفس يهود أوروبا الصعداء فكان القرن التاسع عشر بفضل مبادىء المساواة التي رفعت شعاراتها الثورة الفرنسية مريحًا نوعًا ما لليهود في أوروبا.

استغل زعماء اليهود الوضع الجديد في أوروبا، وتوجهوا أولاً إلى بريطانيا فطالبوها بحل المشكلة اليهودية، وطلبوا المساعدة، وتحدثوا بالدعاوي الإنجيلية والكتب المقدسة فلم يستمع إليهم أحد، فأدركوا بأن الإمبراطورية البريطانية ليس لها قلب وليس عندها أخلاق لكي تعطف كما هو حال الإمبراطوريات التي تفهم مصالحها فقط، فوجد اليهود أن أفضل وسيلة هي محاكاة الإمبراطورية البريطانية عن طريق المصالح المشتركة أو مصالح بريطانيا بالذات، فذهبوا يعرضون المشكلة من وجهة نظر المصالح البريطانية.

في سنة ١٨٤٠م وقَّعَ "محمد علي بك الكبير" والي مصر معاهدة لندن بعد أن هُزمت جيوشه في بلاد الشام وتم تدمير أسطوله البحري في معركة "نوارين" البحرية حينما باغتت أساطيل بريطانيا وفرنسا الأسطول المصري ودمرته، ومنع الحلفاء محمد علي من تحدي الخليفة العثماني بعد أن تخطت جيوش مصر على اليابسة بلاد الشام ووصلت سهول الأناضول مهددة باحتلال اسطنبول.

فلسطين قلب العالم العربي والاسلامي وموقعها بين ثلاث قارات العالم القديم

وكادت أن تُسقط الخلافة العثمانية لولا تدخل فرنسا وبريطانيا، في معاهدة لندن فُرضَ على محمد علي أن يبقى فقط داخل حدود مصر، ولأجل ألا يُثير مشكلة مستقبلاً خارج حدود مصر أو يتحدى الخلافة العثمانية، استعملوا معه طريقة العصا والجزرة، هزموه أولاً في الحرب برًا وبحرًا، وكافئوه بأن استصدروا له فرمانًا من الخليفة العثماني لاسترضائه، بأن جعلوا حكم مصر مدى الحياة له، ووراثي لأبنائه من بعده، فأصبحت مصر بذلك مملكة لأسرة محمد علي.

بعد أن تم حصر محمد علي داخل حدود مصر، وتم فصل عرب أفريقيا، بما فيهم مصر ذات الموقع المميز والعدد السكاني الكبير عن بلاد المشرق العربي، راح "تيدور هرتزل" وغيره من زعماء اليهود يطرحون فكرة تسهيل عملية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، قالوا للبريطانيين إن لدينا مشروعًا سيخدمكم ويخدم المشكلة اليهودية في أوروبا، وفي كلا المصلحتين؛ فإن الإمبراطورية البريطانية ستكون المستفيد الأول، وقال اليهود ما معناه أيضًا لبريطانيا، بإن اليهود يمكن أن يكونوا حاجزًا بشريًا أيديولوجيًا بين مصر وأطماعها في الخلافة العثمانية، سواء كان هدف مصر هو تحديث الخلافة الإسلامية أو الإحلال مكانها لإعادتها من جديد بالثوب العربي الذي راح يرفع شعاراته محمد علي، وقد ظل زعماء اليهود وعلى رأسهم هرتزل يدقون بهذه النغمات ويلحون على بريطانيا لكي تحتضن مطالبهم، وتسمح بالهجرة إذا ما أضحت بريطانيا السيدة التي تحكم فلسطين يومًا.

بدأ التراخي البريطاني أمام الإغراءات التي قدمها الزعماء اليهود، وجعلوا مصالحهم اليهودية تلتقي مع مصالح الإمبراطورية في مسألة المشكلة اليهودية، وبدأت التداعيات إلا أنها كانت تتم بنقلات نوعية كلما تم اصطياد ظرف معين أو مقابل ثمن معين، وتم إنشاء بعض المستعمرات اليهودية في فلسطين وتم تهجير بضعة آلاف من اليهود إلى تلك المستوطنات في تلك الأيام، ثم جاء نابليون إلى المنطقة، وأيضًا أصدر نداءه الشهير لليهود بدافع المصالح الفرنسية، إبان وجود نابليون في مصر وفلسطين كان عدد اليهود في فلسطين يُقدَّرون بخمسة إلى ستة آلاف يهودي وليس أكثر.

في تقدير كثير من الخبراء أن الهجرة اليهودية تمت خلال ثلاث موجات رئيسية، وآخرون يذهبون في التوضيح أكثر فيقولون كانت هناك خمس موجات للهجرة اليهودية، الموجة الأولى من سنة ١٨٨٢م إلى ١٩٠٣م، والموجة الثانية كانت من سنة ١٩٠٤ لغاية ١٩١٨م، وأما الموجة الثالثة فقد حدثت قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة، حينما كان اضطهاد اليهود على أشُدَّه في أوروبا، لقد كانت مصالح الإمبراطورية البريطانية في ذلك الوقت تلح ولا تقل عن طموحات وتطلعات اليهود في إنشاء الوطن القومي في النهاية، كان الإغراء لبريطانيا بفكرة تهجير يهود أوروبا هو التخلص منهم من ناحية، وتحويلهم من أعداء ممتعضين من معاملة البريطانيين في بلادهم إلى حلفاء دائمين معتمدين على بريطانيا صاحبة النفوذ الذي لا تغيب عنه الشمس في ذلك الزمان، فإن وجود اليهود وازدياد أعدادهم في فلسطين هو مانع طبيعي يُبقي مصر وأفريقيا العربية بعيدة عن المشرق وعن بلاد الشام بالذات، وعن الخلافة العثمانية "رجل أوروبا المريض" الذي تنتظر بريطانيا موته لاقتسام تركته المترامية مع الدول الأخرى، ثم إبقاء منطقة الهلال الخصيب العربية مفتوحة أمام اليهود إذا ما أتيحت الفرصة فيما بعد للتوسع في المنطقة الممتدة ما بين النيل والفرات.

الموجة الأولى	١٨٨٢ - ١٩٠٣ م	٢٥٠٠٠ نسمة
الموجة الثانية	١٩٠٤ - ١٩١٨ م	٣٥٠٠٠ نسمة
الموجة الثالثة	١٩١٩ - ١٩٢٣ م	٣٥٠٠٠ نسمة
الموجة الرابعة	١٩٢٤ - ١٩٣١ م	٨٥٠٠٠ نسمة
الموجة الخامسة	١٩٣٢ - ١٩٤٤ م	٢٦٥٠٠٠ نسمة

الهجرة اليهودية ١٨٨٢ – ١٩٤٤ م (جامعة صنعاء)

لقد كان مشروع الهجرة اليهودية إلى فلسطين منذ البداية مليء بالألغام، بالنسبة لأهالي المنطقة من العرب، فهو مشروع دولة أو مشروع استيطان أو مشروع هجرة، وكيفما تم طبخه بعد ذلك سيصبح وطن قومي يهودي! ووجه الغرابة أن العرب لم يكونوا على وعي لما كان ينتظرهم.

بعد ذلك أصبحت مصر وهي الأكثر قربًا من فلسطين التي تتجه إليها أنظار الصهاينة، أصبحت مشغولة بقضية الاستقلال الوطني، ولم تكن منتبهة لما يحدث في فلسطين، رغم أن ما كان يحدث في فلسطين كان يعني ويهم مصر ويقصد دورها ووجودها بكل المعاني وبالدرجة الأولى.

الملك "عبد العزيز آل سعود" كان ينظر لمشكلة الهجرة اليهودية من الناحية الإسلامية فحسب، وكان انتقاده لهذا الأمر ينحصر في أن اليهود دخلوا المسجد الأقصى وفعلوا في القدس كذا وكذا، ولم يخطر بباله أن يكون المشروع هو بناء وطن قومي لليهود وإقامة دولة مستقلة على حساب أهل فلسطين.

بالنسبة للهاشميين فإن الملك فيصل بن الشريف حسين بعد لقائه مع رئيس الوكالة اليهودية "حاييم وايزمان" كان قد قبلَ تقسيم فلسطين، ومشروع الدولة اليهودية، ووافق معه على الاستيطان والهجرة اليهودية بلا حدود إلى فلسطين، الأمير عبد الله أخ الأمير فيصل بن الحسين، خاف من أخيه فيصل الذي خرج من سوريا إلى العراق، فراح يزايد على فيصل وراح يعمل مع الكيان اليهودي الذي ينشأ في فلسطين، ومضى يعقد مع الصهيونية الصفقات لضمان حكمه، (سيأتي الحديث موسعًا عن الشريف حسين وأبنائه في مكان لاحق).

هذا، ومن الجدير بالذكر، بأنه حتى وقت صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م كان عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين حوالي ستين ألفًا. وحينما قُسِّمَتْ التركة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى "معاهدة سايكس-بيكو"، أراد الصهاينة أن يحولوا الوعد إلى قانون وواقع على الأرض في فلسطين، لأن إعطاء وعد دون وجود آلية لتنفيذه لا يعني شيئًا، لهذا استطاع اليهود بأن يأتوا بأول ممثل

للانتداب البريطاني في فلسطين، فكان البريطاني اليهودي الأصل "هربرت صموئيل" الذي تحت ظله أنشأ الصهاينة الوكالة اليهودية في فلسطين، فأصبح هناك من يتولى إدارة الشئون اليهودية على الأرض من مستوطنات وخلافه، وصار لليهود آداة تنفيذية ترعى وتنظم مصالحهم، وأسندت مسئولية الوكالة اليهودية حينئذ إلى "ديفيد بن جوريون" الذي أصبح فيما بعد أول رئيس وزراء لدولة إسرائيل بعد الاستقلال.

المهاجرون اليهود الذين وصلوا إلى فلسطين خلال خمس سنوات:

١٩٣١م : ٠٤٠٧٥ مهاجر.

١٩٣٢م : ٠٩٥٥٥ مهاجر.

١٩٣٣م : ٣٠٣٢٧ مهاجر.

١٩٣٤م : ٤٢٢٥٩ مهاجر.

١٩٣٥م : ٦١٨٥٤ مهاجر.

في معترك التغييرات التي كانت تحدث في فلسطين، كان هناك ثلاث شخصيات يهودية مقابل ثلاث شخصيات عربية في ذلك الوقت، الشخصيات اليهودية كانت، "حاييم وايزمان" الذي سعى واستصدر وعد بلفور، والثاني "ناحوم جولدمان" رئيس المجلس اليهودي العالمي الذي تولى جمع اليهود وتهجيرهم إلى فلسطين، والشخص الثالث هو "ديفيد بن جوريون" المسئول التنفيذي للوكالة اليهودية في فلسطين، الثلاثة اليهود الذين ذكروا هنا كانوا يكرهون بعضهم وعلى خلاف دائمًا، وهم بهذا مثل الملوك العرب الثلاثة في ذلك الوقت، الذين كانوا أيضًا على خلاف ويكرهون بعضهم، لكن الفرق أن الملوك الثلاثة العرب ملك مصر وملك السعودية والهاشميين؛ كان لكل واحد منهم مرجعية خارجية هي الراعية له، وكان له نفوذه ومصالحه الأسرية والإقليمية التي تختلف وتتنافس وتتضاد أحيانًا مع الملكين العربيين الآخرين، أما الثلاثة اليهود فكانوا يكرهون بعضهم بسبب التنافس على الولاء للمشروع الصهيوني، وكان كل واحد منهم ينافس الآخرين لأجل أن ينفذ ما يحلم به لليهود والصهيونية.

الملك عبد الله بن الحسين ١٨٨٢م – ١٩٥١م

في وقفة مع الذات، يمكن القول وبسهولة بأن الحال العربي في الظرف الـراهن (عام ٢٠١٠م) بين الأنظمة العربية، لم يختلف عما كان بين الملوك العرب الثلاثة الذين أتينا على ذكرهم حينما كان المشروع الصهيوني في طور التنفيـذ، فلكـل زعيم عربي في الوقت الراهن مرجعية خارجية أو أكثر مـن الـدول المتنفـذة، وخلافاتهم أضحت أكثر وتبدو أكبر من عداءهم لإسرائيل، التي من المفروض أن تكون العدو المفترض للعرب جميعًا، وعودة لموضوعنا الأساسي: لهـذا اسـتمر المشروع الصهيوني في ظروف ما بين انتهاء الحرب العالمية الأولـى والثانيـة يمضي على وتيرته، فتدفق المهاجرون اليهود إلى فلسطين، وبُنيت المسـتوطنات وأصبح لليهود في فلسطين دوائر ومؤسسات وأضحى لهم قوة بوليس، وصـاروا يسيرون بخطى ثابتة تجاه إعلان دولتهم وأضحى الأمر مجرد وقت وليس أكثـر، فوجودهم أصبح واقعًا على أرض فلسطين وأثرهم ونشاطهم لا يمكن تجاهله.

اندلعت الحرب العالمية الثانية، وراح الحلفاء وكذلك دول المحور بقيادة ألمانيا كل منهما يُمَنِّى الشعوب المستعمرة بالحرية والاستقلال، ويحرضها على العدو الآخر، بالنسبة للعرب تنبهوا إلى ما كان يحدث في العالم في ذلك الوقت، فراحوا يبحثون عن صيغة للوحدة للم شتاتهم، فأوجدوا الجامعة العربية، بـل باركهـا الإنجليـز

لإلهاء العرب عن مشروع الوحدة الكبرى، وبالنسبة لليهود الصهاينة وجدوا فرصتهم لإنشاء وطن قومي بعد ما حدث لليهود على يد النازية، فأصبح الأمر بالنسبة لهم أن تكون دولة لليهود أو لا، ورأوا أنه إن لم يحصلوا على دولة فقد تضيع الفرصة، فاستغلوا الهلوكوست اليهودي ووضعوا كل ثقلهم الإعلامي والاقتصادي ومضوا لتحقيق حلمهم، فاقنعوا الآخرين بقضيتهم، وليس هذا فحسب بل إنهم كانوا قد زودوا الحلفاء بعدد من اليهود، عملوا في القوات المسلحة في دول الحلفاء، قال روتشيلد إن اليهود قدَّموا للحلفاء على مدى سنوات الحرب ما يُقدَّر بمليون جندي يهودي كانوا تحت السلاح، معنى ذلك بغضِّ النظر إن كان الرقم الذي قاله روتشيلد صحيحًا أم لا، فإن اليهود كان لديهم بعد انتهاء الحرب طواقم من الضباط والجنود وخبرة عسكرية لا يستهان بها خصوصًا إذا أضيفت لقوات الهجانة التي كونت فيما بعد جيش الدفاع الإسرائيلي، هذا لو تذكرنا أيضًا الفيلق اليهودي الذي كان يحارب كجيش نظامي بجانب الحلفاء، وهو ما يعني للحلفاء المنتصرين بأن هناك هلوكست وهناك قضية يهودية وأن اليهود حاربوا بجانبهم أو ادعوا ذلك، وهذا يعني أن المشروع الصهيوني أضحى مكتملاً، فلديهم قوات وهم يعرفون أن العرب منقسمون ومتنافسون ويكرهون بعضهم، فلم يبق لليهود سوى اللحظة المناسبة لكي يغتنموها ويعلنوا دولتهم وهم بحاجة الآن إلى مزيد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين لكي يكتمل المهرجان الصهيوني.

قال الأستاذ "محمد حسنين هيكل" في إحدى حلقات لقائه مع قناة الجزيرة الفضائية عن اللقاء الذي تم بين الملك "فاروق"، والملك "عبد العزيز آل سعود"، بحضور الرئيس الأمريكي روزفلت على ظهر سفينة رست في البحيرات المُرة المتصلة بقناة السويس التي تقع بين مدينة السويس ومدينة الإسماعيلية بمصر، قال هيكل ما معناه، إن الزعيمين العربيين قد تحدثا، وخاصة الملك عبد العزيز على موضوع الهجرة اليهودية، وطلب الملكان من الرئيس الأمريكي ضمانات لعدم تدفق المهاجرين اليهود على فلسطين.

فرانكلين روزفلت ١٩٣٣م – ١٩٤٥م

Franklin Roosevelt

ويُضيف هيكل ما معناه أيضًا بأنه لم يخطر ببال الملك عبد العزيز والملك فاروق موضوع الدولة اليهودية وكأن ملك مصر وملك السعودية كانا ينظران إلى الحلم الصهيوني كأنه أحلام وتمنيات أو ضربًا من ضروب الخيال وليس أكثر، لم يكن يتصور العرب بأن هناك حربًا وصراعًا بالحديد والنار ستنشب بينهم وبين اليهود بل لم يكن في ثقافة العرب في تلك الأيام أن يكون هناك حسم عسكري، لأن حتى وقت بداية الحرب العالمية الثانية لم يكن عدد اليهود الذين استوطنوا فلسطين يربوا على المائة وخمسين ألفًا، وهذا يقودنا (الكاتب) إلى أن المشروع الصهيوني وما كان يُبيَّت لفلسطين لم يكن واضحًا للزعامة العربية بعكس المنظمة الصهيونية التي كانت تُخطط وتحسب كل شيء، وتقتنص الفرص، وتنفذ المشروع خطوة خطوة.

الملك فاروق الأول
١٩٢٠م – ١٩٦٥م

الملك عبد العزيز آل سعود
١٨٨٠م – ١٨٥٣م

بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، كان هناك دفعة من المهاجرين اليهود تقدر بمائة ألف، لكن موضوع الهجرة اليهودية بالنسبة للزعامة العربية في المنطقة كما أسلفنا، لم يزد عما قاله "تيدور روزفلت" حينما التقى الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود في البحيرات المُرَّة، كان روزفلت قد أخبر ملك مصر وملك السعودية بالذات الذي اهتم يومها كثيرًا بموضوع الهجرة اليهودية، بأن أي قرار حاسم بالنسبة لهجرة اليهود لن يتم إلا بعد التشاور مع العرب.

بعد الحرب العالمية الثانية، كان هناك نقطتين محوريتين فيما يخص الصراع العربي الصهيوني، كان هناك الإمبراطورية البريطانية المُنتصرة في الحرب بقيادة "ونستون تشرشل" الذي كانت حكومته متعاطفة جدًا مع أماني اليهود، وكان تعاطف تشرشل مع اليهود ليس له حدود، بل وكان تشرشل صهيوني غير يهودي إلى أبعد الحدود أيضًا، ثم جاءت حكومة العمال في بريطانيا، وورثتْ إمبراطورية تشيخ وتُواجه مشاكل لا حصر لها في المستعمرات وفي بلاد العرب أيضًا.

كانت الحركات الوطنية والشعوب التي تستعمرها بريطانيا قد بدأت تثور وتتمرد وتُطالب بالاستقلال، بدءًا من أندونسيا والهند إلى مصر والعراق وغيرها، وخرجت بريطانيا بشعار سُمّي بتصفية المصالح البريطانية شرق قناة السويس، بسبب أن مواردها الاقتصادية لا تتحمل ما ينتج عن المقاومة وعن الثورات وأتعاب التمرد على جيوشها التي كانت تحتل مناطق كثيرة في العالم حتى ذلك الوقت بل وصارت تدرك بأن أمريكا ترث نفوذها وهي لا تستطيع أن تؤخر ذلك.

في هذا الوقت، بعد الحرب العالمية الثانية أضحت القوى العظمى قطبين، المعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والمعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفييتي بزعامة روسيا، وعزز هذا أن أصبحت الولايات المتحدة دولة ذريَّة، ثم لحقتها روسيا في موضوع الأسلحة الذرية، وأضحى الاستقطاب بين المعسكرين واضحًا للدنيا، وهكذا تراجع دور الإمبراطوريات القديمة أمثال بريطانيا وفرنسا وألمانيا، حيث دفعت الأخيرة ثمنًا باهظًا في الحرب.

على ضوء هذا لجأتْ بريطانيا إلى محاولة أخيرة لاستبقائها في المنطقة العربية خصوصًا في فلسطين، ولكي تُحقق ذلك لجأتْ إلى سبب غير عادي، راحت تشيع وتقول للعرب بإن أمريكا هي التي تضغط في موضوع الهجرة اليهودية، وأنها أي بريطانيا تُعارض هجرة اليهود إلى فلسطين، وأما في الحقيقة فقد كانت بريطانيا على ما يبدو تحاول الوقيعة بين العرب وأمريكا، القوة الصاعدة التي راحت تتحفز لكي ترث مصالح الإمبراطورية البريطانية العجوز، أما حقيقة الموقف البريطاني فقد كان ينشد تقسيم فلسطين بين العرب واليهود بناء على وعد بلفور، وعلى هذا الأساس؛ أرسلوا أكثر من لجنة في ذلك الوقت إلى فلسطين؛ لعمل الدراسات والتوصيات؛ تمهيدًا لتقديم مشروعًا للتقسيم، وكان قياسهم واختيارهم حل التقسيم بهدف تجنب النزاعات التي قد تنجُم عن الطائفية أو العرقية أو الأيديولوجية، حيث تم تقسيم الهند إلى دولة هندية وأخرى هي الباكستان، وتم أيضًا تقسيم ألمانيا إلى شرقية وغربية، وقد شاع حل التقسيم في تلك الأيام وتبنته بريطانيا في حلول مشاكل الدول، فتلك هي كوريا الشمالية وكوريا

الجنوبية، وتلك فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية، كما أن بريطانيا دأبت في محاولة يائسة إلى إبقاء شيء من النزاعات في كل بلد كانت تحتله وانسحبت منه، لقد أبقت حدود الدول غير واضحة وأصبح محتمًا أن نزاعات مسلحة ستنشب يومًا بين تلك الدول التي منحت الاستقلال أو تم تقسيمها وهي تنشد إحراج أمريكا الوريث القادم لإمبراطوريتها لغاية المنافسة على مناطق النفوذ لا العداء.

كانت بريطانيا بتركها نزاعات في المناطق التي كانت تحتلها تنشد بأن يقترح عليها العالم أن تبقى في بعض المناطق، وأن تدفع الأمم المتحدة مثلاً تكاليف تواجدها في بعض المناطق، كأن تكون وصية على بعض المناطق التي كان من المفروض أن تسحب جيوشها منها، وبذلك يُصبح وجودها لا يحمل تهمة الاحتلال، في الوقت الذي كانت فيه أمريكا ترفع شعارات حقوق الإنسان وتُنادي بتحرير الشعوب، لهذا كانت بريطانيا تحاول أن تبقى في فلسطين لأهمية فلسطين الدينية والاستراتيجية بالنسبة للعالم الغربي، لكن هذا ليس كل شيء!